مجلة كلية الآداب. جامعة الإسكندرية . المجلد ٧١ . العدد ١٠٦ .

الأبعاد الإسلامية في شعر أحمد شوقي

دكتور/ سالم محمد عبد الله زيد عبيد المطيري

الملخص باللغة العربية :

تتعد الأبعاد الإسلامية في شعر أحمد شوقي، إذ احتفى شوقي في شعره بغرض الشعر الإسلامي. فقد استغرق الشاعر في مدح الرسول ، وفي سيرته الشريفة، وفي عرض الأحداث الإسلامية الكبرى كحادثة الإسراء والمعراج، وحادثة الهجرة النبوية، وكذلك جهاد الرسول وجهاد المسلمين من بعده من أجل العقيدة. كما أقام شوقي الحجة والبرهان على هجوم المستشرقين على الإسلام.. كما عرض للقصص الديني، ومنها قصص الأنبياء، كما عرض للشعائر والعبادات. واستلهم شوقي الألفاظ والمعاني من القرآن الكريم، فكان يقتبس الكلمة أو الجملة أو المعنى .

ويتتبع هذا البحث الأبعاد الإسلامية في شعر أحمد شوقي، مستشهدًا بشعره ومنهج البحث هو المنهج الوصفي التحليلي.

الملخص باللغة الإنجليزية :

The Islamic dimensions in Ahmad Shawqi's poetry transcend, as Shawky celebrated the purpose of Islamic poetry in his poetry. The poet focused on praising the Messenger, in his honorable biography, and in presenting major Islamic events such as the incident of Isra and Mi'raj, the incident of the Prophet's migration, as well as the jihad of the Messenger and the jihad of Muslims after him for the sake of belief. Shawky also established the argument and proof of the orientalists 'attack on Islam .. He also presented the religious stories, including the stories of the prophets, as well as the rituals and acts of worship. Shawky was inspired by expressions

and meanings from the Holy Qur'an, so he used to quote a word, sentence, or meaning. This research traces the Islamic dimensions in Ahmad Shawqi's poetry, citing his poetry and the research method is the Descriptive-Analytical Method.

إن الغرض الذي يظهر بوضوح في شعر أحمد شوقي هو غرض الشعر الإسلامي، والموضوعات القريبة منه، وديوان أحمد شوقي لا يكاد ينقطع منه هذا الغرض إذا قارناه بالأغراض الأخرى .

ويضم شعر أحمد شوقي الإسلامي ظواهر لافتة، إذ قام الشاعر باستلهام الحدث التاريخي والشخصيات الإسلامية، وما حملته من دلالات وإشارات، بغية توظفيها في قصائده؛ مما أتاح له الوقوف على ما فجرته تلك الشخصيات والمواقف التاريخية، من مشاعر ودلالات، زادت القدرة الإيحائية للقصيدة[١].

وقد أتى شعر شوقي سجلاً لأحداث الأمة الإسلامية، ولسان صدق في الذَّود عن رموزها ورجالها؛ إذ لم يترك حادثة ذات شأن في مجرى التاريخ الإسلامي إلا سجلها، غير أن التاريخ عند شوقي ليس الذي يتتبع سرد الأحداث ووصفها، بل " التاريخ عنده هو سجل السلوك البشري، أو الإرادة البشرية وما فاضت إليه من الأحداث وتعاقب الأمور، ثم مايكون من وراء ذلك من حكمة يستنبطها الشاعر أو فلسفة يذيعها في الناس"[٢].

– وقد شغف شوقي بحب الرسول الكريم ﷺ، والتركيز على مدحه شعرًا، والاهتمام بسيرته العطرة، وبالصحابة رضوان الله عليهم، وغير ذلك من المضامين الدينية. وهذا ما جعله دائم الصلة بتراثه الديني الذي استحوذ على فكره، ومثله الكثير من الشعراء، الذين استلهموا "معطيات التراث دينيًا وتاريخيًا، وثقافيًا، وخاصة معطيات الدين الإسلامي"[٣].

– وقدم شوقي منظومة " دول العرب وعظماء الإسلام"، وقد نُشرت في كتاب مستقل بعد وفاته، وكانت سردًا شعريًا لملامح شخصيات إسلامية يتناولها، ويعلن ذلك في مقدمة منظومته :

حتى أراد الله أن نظمت علمًا من سير الرجال ما استعظمت

---

[١] شوقي وقضايا العصر والحضارة، حلمي على مرزوق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨١م، ص١١١.

[٢] الشوقيات، تحقيق أمين محمد، المكتبة التوقيفية، القاهرة، ج١، ١٩٧٠م، ص ٢٤٤.

[٣] لغة الشعر، رجاء عيد، منشأة المعارف، الإسكندرية ، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، ص ٤٢٧.

بما تبعث في الأحـــــداث جلائل الأعمال والأحـداث[٤]

– كما قدم **قصيدته الأولى في ذكرى المولد النبوي الشريف** في عام ١٩١١م، في تسعة وتسعين بيتًا، ومطلعها:

به سحر يتيمهُ كلا جفنيك يعلمهُ[٥]

وهي قصيدة في مدح الرسول ﷺ، ويذكر فيها سيرة النبي محمد ﷺ منذ طفولته، كما يشير فيها إلى شخصية الرسول الكريم ﷺ، فقد وصف شوقي الميلاد النبوي، وما واكبة من مظاهر قدسية، ثم يحيط بصاحب الرسالة شارحًا ما انطوى عليه من خُلق وسمو أهلاه ليكون رسول الله، وآخر رسله للبشرية[٦].

– ثم قدم شوقي **قصيدة ذكرى المولد النبوي الثانية:** وقد نظمها عام ١٩١٤م، وهي في واحد وسبعين بيتًا.

وقد تناول الشاعر في هذه القصيدة معالم بارزة من حياة الرسول الكريم، وسيرته العطرة. يقول شوقي:

وأرسل عائلاً منكم يتيمًا دنا من ذي الجلال فكان قابا
نبي البر بينه سبـــــيلاً وســـن خلاله وهدى الشعابا[٧]

ولم تقتصر القصيدة على المدائح وذكر صفات النبي الكريم، بل ذكر الشاعر فخره بالانتساب للنبي، واتخاذه قدوة له وإماماً، يقول:

أبا الزهراء قد جاوزت قدري بمدحك بيـــــد أن لي انتسابًا
فما عرف البلاغة ذوبيـــان إذا لم يتخـــــــــذك له كتابًا
مدحت المالكين فزدت قدرًا فحين مدحتك اقتدت السحابا[٨]

وهكذا؛ فقد كان شوقي يهتم بتقديم الشعر الإسلامي، في المناسبات الدينية.

---

[٤] دول العرب وعظماء الإسلام، أحمد شوقي، مطبعة مصر، ١٩٣٣م، ص٦.

[٥] الشوقيات المجهولة، محمد صبري، بيروت، دار المسيرة ١٩٧٩م، ج٢، ص ١٣٥.

[٦] شوقي الشاعر الإنسان، أحمد عبد المجيد، دار المعارف، ١٩٨٢ص ١٧.

[٧] الشوقيات، الجزء الأول، ص ٧١.

[٨] الشوقيات، الجزء الأول، ص ٧١.

– و تعتبر **المناسبات الدينية** من الموضوعات التقليدية التي تناولها الشعراء قديماً وحديثًا، وذلك لأن المناسبات الدينية تعرض قضايا كثيرة، تدور في كل مجتمع على مر العصور، بحيث أصبح قول الشاعر في هذه المناسبات تقليدياً يتعلق بقلوب ملايين المسلمين، الذين يولون هذه المناسبات اهتماماً كبيرًا. فهم على اختلاف مذاهبهم يعبرون عنها بأشكال مختلفة ومتنوعة، فهم يقيمون احتفالات بمناسبة المولد النبوي، والعام الهجري، وغزوة بدر الكبرى. وكذلك يولون اهتماماً شديدًا، باليوم الذي عرج فيه رسول الله إلى السماء، وكذلك شهر رمضان، وفريضة الحج، ويضاف إلى ذلك كله مناسبات أقل أهمية من هذا، لكن الشعراء لم يهملوها، وانما أشاروا إليها في بعض قصائدهم. ومن بين هؤلاء الشعراء أحمد شوقي الذي أشار إلى الكثير من المناسبات الدينية في أشعاره، ومن هذه المناسبات التي ذكرها شوقي قصة **هجرة الرسول الكريم واصطحابه لأبي بكر**، ودخولهما الغار، وملاحقة كفار قريش لهما، فيقول:

هاجر من أم القرى مأذونــاً وما دري أو سمع المؤذونا؟
في ليلة للختل كانت موعدًا قد نصبتها شركًا أيد العدا [٩]

فقد استوحي شوقي صوره في هذه الأبيات من القرآن الكريم، وكذلك بعض الألفاظ والمعاني، ويقول عن الهجرة أيضًا:

فحقت الهجرة وهي مرة ما وصف إلا لنفسٌ حرة[١٠]

وصور شوقي استقبال أهل يثرب للنبي محمد، ويشير إلى الموقف الخالد الذي وقفه أنصار الرسول في المدينة، فيصور موقفهم المشرف من الرسول ودعوته، فيقول:

فكان للقادم منـــــهم أهلٌ ومنزلٌ رحب الفناء سهل
باليمن ألقى رحلة في الخروج كأنه مــن أرضه لم يخرج[١١]

وتعود أهمية هذه المناسبة الدينية إلى معانيها، التي توحي بها، وهي التضحية من أجل العقيدة، والفداء من أجل المبدأ .

---

[٩] الشوقيات، الجزء الأول، ص ٧١

[١٠] دول العرب وعظماء الإسلام، أحمد شوقي، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٣م، ص٣١-٣٢.

[١١] المرجع السابق، ص ٣١.

أما الاحتفال **بذكرى معركة بدر الكبرى**، فتعود إلى أهمية هذه المعركة التي تعبر عن قوة العزيمة وعمق الإيمان، والتي كانت أول وأقسى تجربة للمسلمين الأوائل، الذين آزروا دعوة النبي محمد ، فقد تناول بعض الشعراء ومنهم شوقي قصة هذه المعركة كما رواها التاريخ، فتحدثوا عن المؤمنين الذين تصدوا لكفار قريش، وأشاروا إلى بطولة الرسول الكريم وإلى قيادته المثالية للمعركة، يقول شوقي:

فكانت الحرب لدفع الحيف قد تؤخذ السلم بحد السيف

وكان (بدر) مطلع الأيـــام ورفعة الصلاة والصيـــــام[١٢]

ويقول أيضا:

قف بقريش بعد بدرٍ وسل ما غرها بابن أبيها المرسل؟[١٣]

فقد كانت معركة بدر أول معركة يخوضها المسلمون وكان النصر حليفهم، فصار لها في تاريخ المسلمين مكانه عظيمة.

وتعد **قصيدته الهمزية** من أقوى الشواهد على نزعة شوقي الإسلامية، وقد نظمها سنة ١٩١٧م، وعارض بها همزية البوصيري (أم القرى في مدح خير الورى)، وعدد أبياتها ١٣١ بيتًا، ويقول في مطلعها:

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبســـــم وثناءُ[١٤]

....

أما حديثك في العقول فمشرع والعلم و الحكم الغوالي الماء

هو صبغة الفرقان، نفحة قدسه والسين من سوراته و الراء

جرت الفصاحة من ينابيع النهى من دوحه، وتفجّر الإنشاء

فالحديث الشريف للنبي الكريم، هو الحديث البليغ الفصيح، الصادر عن أفصح خلق الله، وأوضحهم بيانًا على الإطلاق، كيف لا وهو قول الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي.

فرسمت بعدك للعباد حكومة لا سوقة فيـــــــها ولا أمراء

الله فوق الخلق فيها وحـــده والناس تحـــــت لوائها أكفاء

والدين يسر، والخلافة بيعة والأمر شورى، والحقوق قضاء

---

[١٢] نفسه، ص ٣٢.

[١٣] دول العرب وعظماء الإسلام، أحمد شوقي، ص ٣٣.

[١٤] الشوقيات، الجزء الأول، ص ٣٤.

ثم يبين الشاعر أن ذلك الكتاب الرباني، وذلك الهدي النبوي، هما الأساس في بناء وقيام الدولة الإسلامية. تلك الدولة التي يعرض شوقي أهم ملامحها، ويفاخر بها، فهي دولة تقوم على المساواة الكاملة بين رعاياها، وشعارها هو قوله تعالى ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [سورة الحجرات ؛ الآية ١٣] وهي دولة تقوم على البيعة الحقة، والشورى، والعدالة الاجتماعية، التي تضمن الحقوق لأصحابها.

ويقول في القصيدة نفسها، عن التكافل الاجتماعي منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم:

والبرّ عندك ذمّة وفريـــــــضة ... لا منّـــــــــة ممنونة وجباء

جاءت فوحّدت الزكاة سبـــــيله ... حتى التقى الكرماء والبخلاء

أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى ... فالكلّ في حقّ الحـياة سواء[١٥]

فيفتخر شوقي في الأبيات السابقة بالتكافل الاجتماعي، فكانت دولته □ أولى الدول التي أرست دعائمه، وجعلت للفقير حق معلوم عند الغني، يأخذه منه وهو عزيز النفس، لأنه شرع الله.

وتعددت قصائد شوقي الدينية، وتعددت مدائحه للنبي □، ولكن قصيدته " نهج البردة" تقف علمًا من أعلام الشعر الإسلامي في العصر الحديث.

وقد أنشأ شوقي قصيدته "نهج البردة"، معارضًا[١٦] بها بردة البوصيري المشهورة، وأبدع فيها إبداعًا كبيرًا مما دعا الشيخ سليمان البشري شيخ الجامع الأزهر – حينئذ – لأن يكتب لها شرحًا بنفسه.

---

[١٥] الشوقيات، الجزء الأول، ص ٣٨.

[١٦] إن المعارضة تكون بدافع إعجاب الشاعر بالأثر الشعري الذي يعارضه، كما يشير أحمد شوقي إلى إعجابه ببردة البوصيري.

وإن معارضات أحمد شوقي، تظل كاشفة عن رغبة الشاعر في التواصل مع موروثه الأدبي في العصور السابقة، حفاظًا منه على التراث، وغيرة على مقوماته، وإنقاذًا له من الاندثار على مرور الزمان، في تيار اتجاهات التجديد التي قد تتوجه إلى إزاحة الموروث، لإتساع الطريق إلى الجديد وحده.

كما تكشف معارضات شوقي عن عشقه لتراثه الأدبي، كما اتضح ذلك من تسميته لمقر إقامته "كرمة ابن هانيء"، فقد كشفت هذه التسمية عن ولائه للقديم صراحة، وعلى غيرته على التراث العربي.

وقد انتقى شوقي من عصور الأدب العربي المشرقة نماذجه للمعارضة الشعرية، فوقف عند البحتري في القرن الثالث الهجري، وكذلك عند أبي تمام، ثم المتنبي في القرن الرابع، وابن زيدون من العصر الأندلسي، وكذلك عارض ابن سينا، والشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري. وعارض قصيدة" البردة للبوصيري"، التي عارض قبله البارودي، في قصيدته "كشف الغمة في مدح سيد الأمة.

وقد سماها شوقي " **نهج البردة** "، وهو اسم يدل على مبلغ تأدُّب شوقي وتواضعه، فهو لا يعارض قصيدة البردة للبوصيري، وإنما يقول قصيدة على نهجها[١٧].

ويصرح شوقي في قصيدته نهج البردة بكل ذلك؛ فهو يذكر (**صاحب البردة**) فيقر له بالفضل والسبق، ويعلن أنه وهو ينشد هذه القصيدة لا يعارضه، لأنه فوق مستوى المعارضة. وإنما هو يغبطه على ما سبق إليه من الفضل؛ وذلك حيث يقول شوقي مخاطباً الرسول صلى الله عليه وسلم :

المادحون وأربابُ الهـــوى تبعٌ ... لصاحبِ البردةِ الفيـحاءِ ذي القـدمِ

مديحُه فيك حبٌ خالصٌ وهوى ... وصادقُ الحب يُملي صـادقَ الكـلمِ

الله يشهـــد أني لا أعارضــه ... مــن ذا يعارضُ صوبَ العارضِ العرمِ

وإنما أنا بعـــض الغابطين ومن ... يغبـــط وليَّك لا يذمـــم ولا يـــلم[١٨]

---

[١٧] وكان سبب نظم الإمام البوصيري لقصيدة البردة أنه مرض مرضاً طويلاً وأصيب بالشلل، وعجز الأطباء عن علاجه. وبلغ به الألم منتهاه . فاتجه بقلبه كله إلى الله، وأكثر من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي غمرة هذا الجو الديني العظيم، وهذا الانفعال النفسي الغامر، نظم القصيدة يمدح فيها الرسول، ويثني عليه، ويمجده، ويذكر صفاته، وأخلاقه، وعظيم مزاياه.

ويقال إنه بعد أن أتم نظم هذه القصيدة، رأى صلى الله عليه وسلم في منامه، يمسح عليه بيده الكريمة، ويلفه في بردته. فلما أفاق من نومه وجد نفسه سليماً معافى. ومن ثم سُميت هذه القصيدة باسم البردة، أي بردة النبي التي رءاه البوصيري يلفه بها في منامه.

ومهما يكن، فإننا لا نجد في قصيدة البردة للبوصيري أية إشارة لذلك، حتى في الأقسام الأخيرة منها، التي يناجي فيها الله أو يتوسل إليه برسوله، وإن كنا نجد في البيت قبل الأخير منها ما ينص على تسميتها بالبردة. وذلك حيث يقول:

وهذه بردة المختار قد ختمت ... والحمد لله في بدء وفي ختم

– على أن البعض لا ينظر بارتياح إلى تسمية هذه القصيدة باسم البردة، ويرى أن هذا الاسم يجب أن يظل مقصوراً على قصيدة كعب بن زهير، التي مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم والتي يقول في أولها: **بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفـــد مكبول**

والتي يقول فيها: **إن الرسول لنورٌ يُستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول**

– ومعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم طرب لهذه القصيدة وأنه خلع بردته على كعب بن زهير. وكان ذلك حقيقة لا خيالاً، وعياناً لا مناماً. فكانت هذه القصيدة عند هؤلاء أحق أن تسمى وحدها بالبردة، وألا يطلق هذا الاسم على قصيدة أخرى غيرها.

ومهما يكن من الأمر فقد اشتهرت قصيدة الإمام البوصيري هذه باسم البردة، حتى كاد هذا الاسم يصبح علماً عليها.

[١٨] الشوقيات، ص ١٦٩.

– وتقع قصيدة نهج البردة لشوقي في مائة وواحد وتسعين بيتاً، وهي تدل على نفس طويل في الشعر كان يتمتع به شوقي، وقد أمدته في هذه القصيدة شاعريته الخصبة، وإحساسه الديني العميق، كما يبدو أنه عاش زمناً طويلاً في قصيدة البردة للبوصيري؛ فتشربتها نفسهُ، واندمج في معانيها، وأخيلتها، وصورها، وجوها الديني.

ويستغرق مدح الرسول من القصيدة مائة وثمانية وأربعين بيتاً من الشعر الجيد، المتناهي في الجودة، المعبر عما تكنه نفوس المسلمين جميعاً؛ من محبة للرسول ، وتعظيم لشأنه، وإجلال لقدره، مع دعوة في نفس الوقت إلى الاقتداء به، واتخاذه مثلاً عالياً؛ في تقواه وأخلاقه وشيمه وحسن سياسته.

ويبدو في هذه القصيدة ميل شاعرنا شوقي إلى الوعظ الديني، وذلك حين يتناول شوقي النفس الإنسانية، وما جُبلت عليه من جري وراء اللذات وحب الشهوات، وما لم يتم كبح جماحها، وترتيبتها على الفضائل، وتهذيبها بالأخلاق الحسنة. وكل ذلك عبر عنه الشاعر في بنيةٍ حكميةٍ، تضمنت بعض الوعظ للذين ينساقون وراء هواهم في دار محكومة الفناء. ليجدوا أنفسهم قاب قوسين أو أدنى من دار البقاء محاطين بذلات النفس. صحائفهم مسودة بما اكتسبوا من خطايا.

يقول شوقي:

رُزِقتَ أَسْمَحَ ما في الناسِ مِنْ خُلُقٍ إذا رُزِقْتَ التِماسَ العُـذْرِ في الشِيَمِ

....

وكذلك حين ينتقل شوقي إلى الحديث عن الحياة الدنيا منددا بتفاهتها ، وبالمتكالبين عليها، الغافلين بها عن تقوى الله، وعمل الخير، والسعى لما فيه نفع الناس، يقول[١٩]:

يا نَفْسُ دُنياكِ تُخْفي كُلَّ مُبْكيـةٍ وإن بَـدَا لَكِ منْها حُـسْنُ مُبْتسَمِ

فُضِّي بتقْوَاكِ فَاهَا كُلما ضَحِكـتْ كَمَا يُفضُّ أَذَى الرّقشاءِ بالشَّـرَمِ

....

ويتملك شوقي الإعجاب بقصيدته هذه، في مدح الرسول بل يحس أنه كلما تصدى لمدحه، واتاه التوفيق ونال السبق. فيقول معبراً عن ذلك :

لزِمْتُ بَابَ أَمِيرِ الأَنـبيَاءِ وَمَـنْ يُمْسِكْ بمِفْتَاحِ بَابِ الله يـغْتَنِـمِ

---

[١٩] مَخْطُوبةٌ مُنذُ كانَ النّاسُ خَاطِبَةٌ مِنْ أَولِ الدهرِ لم تُرْمِل ولم تَئِـمِ
يَفْنَى الزّمَانُ، ويَبْقَى مِنْ إِسَاءَتِها جُرْحٌ بِآدَمَ يَبْكي منه فِـي الأَدَمِ
لا تَخْفَلي بِجَنَاهَا أَو جِنَايِـتهَا المـوتُ بالزَّهْرِ مثلُ الموْت بالفَحَـمِ

فكُلُّ فضْلٍ وإِحْسَانٍ وعارفةٍ ... ما بين مستلمٍ منه ومُلتزِمِ
عَلقْتُ من مَدْحهِ حبلاً أعزُّ به ... في يوم لا عِزَّ بالأَنسابِ واللُّحَمِ
يُزرِي قَرِيضِي زُهَيْرًا حينَ أَمدحُهُ ... ولا يُقاسُ إلى جُودِي نَدَى هَرِمِ[٢٠]

ونلحظ أن شوقي لم يجعل شعره أبلغ من شعر زهير مطلقاً، بل قيده بما إذا كان مدحاً للنبي في قوله (**حين أمدحه**)، لأن مدحه يزيد القول بهجة وشرفاً وجلالاً.

ولا غرابة في ذلك، لأن شوقي هو شوقي، والممدوح هو الرسول، ودوافع المدح لا تتعلق بأي غرض دنيوي. وإنما هو الإيمان الصادق، والمحبة الخالصة، ورجاء الثواب من عند الله.

وتتميز هذه القصيدة في مديح نبينا أنها تجمع إلى جانب المدح، تسلسل الأحداث الإسلامية في السيرة النبوية، إضافة إلى رد بعض الشبهات التي ألصقها المستشرقون بالمسلمين.

وقد عرض شوقي **أحداث بدء الجهاد لنشر الدعوة الإسلامية** ببداية نزول القرآن الكريم، وصور الموقف حين دعا النبي عشيرته قريشاً، فبلغت منهم الحيرة والاضطراب أن هاموا على وجوههم في بطون الأودية، ورؤوس الجبال كناية عن شدة الارتباك، واستعظام الأمر. ثم أقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الأمر العظيم. ويخاطبهم الشاعر بالدليل أنهم يشهدون بأمانة محمد ، وصدقه طوال حياته. فكيف يكون متهماً بالكذب فيما دعاهم إليه، والشطر الثاني من البيت الأخير قد ذهب بين الناس مذهب المثل؛ " وما الأمين على قولٍ بمتهم".

قال شوقي[٢١] :

وَنُودِيَ اقْرَأ، تَعَالى اللهُ قَائِلُهَا ... لَمْ تَتَّصِلْ قَبْلَ مَنْ قيلَتْ لَهُ بِفَمِ
....

– ويستمر شاعرنا في عرض **الأحداث الإسلامية الكبرى في السيرة النبوية** كحادثة **الإسراء والمعراج:**

---

[٢٠] المصدر السابق، ج١، ص ١٦٥.

[٢١] هُناكَ أَذَّنَ لِلرَّحْمَنِ فَامْتَلأَتْ ... أَسْمَاعُ مَكَّةَ مِنْ قُدْسِّيةِ النغَمِ
فَلا تَسَلْ عَنْ قُرَيْشٍ كَيْفَ حَيْرَتُها ... وَكَيفَ نُفْرَتُها في السهلِ والعَلَمِ
تَساءَلوا عَن عَظيمٍ قَد أَلَمَّ بِهِمْ ... رَمَى المشايِخَ والوِلْدانَ بِاللمَمِ
يا جَاهِلِينَ علَى الهادِي ودَعْوَتِهِ ... هل تجهَلونَ مكانَ الصادقِ العَلَمِ
لَقَّبتُمُوه أَمينَ القَومِ في صِغَرٍ ... ومَا الأَمينُ على قولٍ بِمتَّهَمِ

وقد تناول كل من تأثروا بالسيرة النبوية في المدح النبوي معجزة الإسراء والمعراج بإيجاز حيناً، وبإطناب حيناً آخر، باعتباره التكريم الأكبر للرسول ﷺ . فسرد شوقي في قصيدته مراحل الإسراء والمعراج، كما جاء بها الكتاب العزيز:

قال شوقي[٢٢] :

أَسْرَى بِكَ اللَهُ لَيلاً إِذ مَلائِكُـــهُ والرُسْلُ في المَسجِدِ الأَقْصَى عَلى قَدَمِ[٢٣]

ولعل تعبير شوقي في البيت الأخير " هذا العرش فاستلم"كناية عن مزيد من القرب من رب العزة، إذ لم يرد في الصحيح بلوغه ﷺ العرش.

– وحادثة **الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة** :

باعتبارها الخطوة الحاسمة في تاريخ الدعوة والجهاد من أجل العقيدة، قال شوقي:

سَلْ عُصْبَةَ الشِركِ حولَ الغارِ سائِمَةً لولا مُطارَدَةُ المختارِ لم تَسُم

هَل أَبصَرُوا الأَثَرَ الوَضّاءَ أَم سَمِعُوا هَمْسَ التسابيحِ وَالقرآنَ مِن أُمَمِ

وهَل تَمَثَّلَ نَسْجُ العَنكبوتِ لهُمْ كالغابِ والحائماتُ الزُغْبُ كالرُخَمِ

فَأَدبْروا وَوُجوهُ الأَرضِ تلعنُهم كباطلٍ مِن جَلالِ الحقِّ مُنهزِمِ[٢٤]

– ويُلفتنا في البيت الأخير أن شوقي قد شبه إدبار المشركين ونكوصهم على أعقابهم خائبين بدمغ الباطل وإدحاضه، قال تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء؛ الآية ١٨] .

كما أن نسبة اللعن لوجوه الأرض مجاز عقلي، واللاعن هو من فيها من المسلمين والملائكة. وربما قصد من وجوه الأرض أهلها، أي أعيانها وأفاضلها.

---

[٢٢] لَمّا حَطَرْتَ بِهِ اِلتَفّوا بِسَيدِهِم كَالشُهْبِ بِالبَدْرِ أَو كَالجُندِ بِالعَلَمِ

صَلّى وَراءَكَ مِنهُمْ كُلُّ ذي خَطَرٍ ومَن يَفُزْ بِحَبيبِ اللهِ يَأتَمِ

جُبْتَ السَمواتِ أَو ما فَوقهنَّ بِهِمْ على مُنَوَّرَةٍ دُرِّيَّةِ اللُجُمِ

رَكُوبُهُ لَكَ مِن عِزٍّ ومن شَرَفٍ لا في الجيادِ ولا في الأينُقِ الرُسُمِ

مشيئَةُ الخالِقِ البارِي وصَنعتُهُ وقُدرةُ اللهِ فوقَ الشَكِّ والتُهَمِ

حتّى بَلَغْتَ سَماءً لا يُطارُ لها على جَناحٍ وَلا يُسْعَى على قَدَمِ

وَقيلَ كُلُّ نَبِيٍّ عِندَ رُتبَتِهِ ويَا محمَّدُ هَذا العَرشُ فَاستَلِمِ

[٢٣] الشوقيات، ج١، ص ١٦٨.

[٢٤] الشوقيات، ج١،ص ١٦٨.

على أن هناك من النقاد من أخذ على شاعرنا أن صاغ تفصيلات حدث الهجرة صياغة شعرية[٢٥]، دون أن يحاول أن يضفى عليه أية دلالة معاصرة، فقد كان كل ما يشغله هو أن يقدم هذا الحدث للقارئ في صورة أدبية منظومة، ولو أننا طالعنا تفصيلات هذا الحدث في كتاب ككتاب " السيرة النبوية" لابن هشام، لما وجدنا الصورة التى قدمها شوقي لهذا، تزيد على الصورة التى قدمها ابن هشام شيئاً سوى الوزن والقافية "[٢٦].

كما يتناول **جهاد الرسول** ، **والمسلمين من بعده** من أجل العقيدة، وقد كان جهادهم مبشراً بعلو شأنهم في الدنيا، وارتفاع درجتهم في الدار الآخرة، قال[٢٧]:

علَّمتَهم كلَّ شيْءٍ يَجهلونَ بــهِ ... حتّى القتالَ وما فيـه مِنَ الذِّمَـــمِ
دَعَوتْهُم لجهادٍ فيهِ سُؤدُدُهـم ... والحربُ أُسُّ نظامِ الكونِ والأُمَـــمِ
....

وقد كان للشطر الثاني " والحرب أس نظام الكون والأمم"، صدى كبير لدى الشعب العربي وحتى اليوم إذ جرى مجرى المثل .

ويقف شوقي عند الجهاد ليعرض **رؤيته في قضية انتشار الإسلام بالسيف**، وهى قضية معاصرة أثارها المستشرقون، متجاهلين كل المآسي الإنسانية التى افترقها أهل أوروبا بأندلس العرب. وقد فند مفكروا المسلمين هذه الدعوى على أساس استحقاق الكافرين العقاب من الله لهم في الدنيا والآخرة. وأن الأنبياء السابقين الذين ورد ذكرهم في العهد القديم قاتلوا الكفار، وأن الجهاد في الإسلام لا يعنى الإكراه على الدخول في الإسلام، وأن الجهاد في الإسلام يمتلئ بصور الرحمة، التى لا مجال للموازنة بينها وبين وحشية الحروب الدينية الأخرى.

---

[٢٥] استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، د. على عشري زايد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٦٣.

[٢٦] الشوقيات، ج١، ص ١٦٩.

[٢٧] انظر : عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية: تحقيق السقا والإبياري وشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر عام ١٩٣٦– ١٢٣/٢ وما بعدها .

لَولاهُ لَم نَرَ لِلدَولاتِ فـي زَمَـنٍ ... ما طالَ مِن عُمُدٍ أَو قَرَّ مِن دُهُـمِ
عَلَّمْتَهم كلَّ شيء يَجهَلونَ بِـه ... حتّى القتالَ وما فيـهِ مِن الذِّمَـمِ
دَعَوتَهُم لجهادٍ فيهِ سُؤدُدُهـــــم ... والحربُ أُسُّ نظامِ الكـونِ وَالأمَـــمِ
لولاه لم نَرَ للدُّولاتِ فـــــي زمنٍ ... ما طالَ مِن عَمَدٍ أَو قَـرَّ مِن دَعَـــمِ

ولذلك نحس انفعال أحمد شوقي في تناوله لهذا الاتهام . فيرفض شوقي ما اتهم به بعض المتكلمين من الأديان الأخرى ديننا الحنيف، من **دعوى نشر الإسلام بالسيف**، قائلاً[٢٨]:

قالوا غزوتَ ورسْلُ اللَهِ ما بُعِثـوا ... لقتـلِ نفسٍ ولاجـاءوا لسفـكِ دَمِ
جهـلٌ وتضليلُ أَحلامٍ وَسَفسَطَةٌ ... فَتَحْتَ بِالسُّيفِ بعدَ الفـتحِ بـالقَلَـمِ
....

فيرد شوقي مقالة القائلين من أهل الأديان الأخرى، من أن الحرب والقتل وسفك الدماء ليست من خلة الأنبياء، الذين ما بعثوا في الناس إلا لتقرير سعادتهم . وأى سعادة أبلغ من أن تُكفَّ دماؤهم وتُصان نفوسهم.

كما **عدُّوا عليه غزواته** □، **وأسرفوا في ذلك**، وألحوا على أسماع الناس بأمثال هذه الأقاويل حتى صوروا رسالته للجاهلين سيفاً مشرعًا يسيل الدماء . وقد كان الرد على الهجمة الشرسة على الإسلام ورسوله من العلماء المسلمين رداً شافياً، تناولوا فيه إقامة الحجة على هجوم المستشرقين، عن طريق تناول أخلاق الرسول، وكمال شريعته، وانتصاره، وحاجة الناس إليه وإلى شريعته ومعجزاته، وتبشير الأنبياء به.

وقد أقام شاعرنا عليهم الحجة والبرهان، وقد أشار بقوله " فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم" إلى أن دعوته □ لم تقم على أخذ الناس بأسباب القوة، واضطرارهم إلى الدخول في الدين بالسيف والرمح، كما أن الذين بادروا إلى طاعة الله من غير حرب ولا قتال، كانوا من أهل العقل والإدارك.

- كما ذكر شوقي في الأبيات السابقة أن استعمال القوة لم يكن في إقامة الدعوة للدين الإسلامي وحده، فهاهي الديانة المسيحية الموصوفة بديانة الرهبنة والسلام، لم تدخل البلاد إلا على رؤوس الأسنة، ولا حُمل الدين المسيحي إلى الأمم إلا على متون السيوف.

- وتنفرد هذه **المدحة النبوية** بالإفصاح عن جلال **المدينة الإسلامية**، وتقديمها على مدنية المصريين القدماء، واليونان، والرومان .

---

[٢٨] الشوقيات، ج١، ص ١٧٠.

لَمّا أَتى لكَ عَفْواً كلُّ ذي حَسَبٍ ... تَكَفَّـلَ السَّيـفُ بِالجُهّـالِ والعَمَـم
والشرُّ إن تَلقَهُ بالخَيـرِ ضِقتَ بِهِ ... ذَرعاً وَإِن تلقَـهُ بالشـر ينحَسِـم
سَلِ المَسيحِيَّةَ السمْحاءَ كَم شَرِبَتْ ... بالصابِ مِن شَهَـواتِ الظـالم الغَلِـمِ
طريدةَ الشِركِ يؤْذيهـا ويُوسعها ... فى كل حينٍ قتالاً ساطِـعَ الحَـدَمِ
لولا حُمـاةٌ لها هَبّوا لنُصـرتِها ... بالسيفِ ما انتفعَت بالرِّفق والرُّحُـمِ

يقول شوقي في ذلك [٢٩]:

دَعْ عنكَ رُومَا وآثيـــنا ومَا حَوَتـا كُـلُّ اليَواقِيتِ في بغـدادَ وَالتُّوَمِ
وَخَلِّ كِسْرى وإيوانـاً يُـدِلُّ بِـــهِ هَوى على أَثَرِ النِّيــرانِ وَالأَيُـــمِ
....

– وعلى ذلك .. فمن الإنصاف للحقيقة، أن نحفظ للشاعر أحمد شوقي إجادته، وإبداعه في سرد ملامح من السيرة النبوية في قصيدته نهج البردة .

– ومن أبعاد الشعر الإسلامي عند شوقي الأبيات الواردة في هذه القصيدة والتي يتحدث فيها عن الحياة، ويحذر نفسه من أشراكها، ويغريها بالطاعة، من مثل قوله:

لا تحفلي بجناها أو جنايتها الموت بالزهر مثل الموت بالفحم

وكذلك كانت طبيعته الميالة إلى شعر الحكمة، تدفعه إلى نظم الأبيات المتضمنة واحدة من الحكم، التي خلدت بعد ذلك في تاريخ الأمة العربية، من مثل قوله:

رزقت أسمح مافي الناس من خلق إذا رزقت التماس العذر في الشيم

وإن الأبعاد الإسلامية في شعر شوقي لا تقتصر على مدائحه النبوية، بل تتعداها إلى **استلهامه الألفاظ والمعاني من القرآن الكريم**، وإن قراءة قصائده الإسلامية لتكشف أن الشاعر كان يقتبس من القرآن الكريم، جملة، أو معنى، أو كلمة. فمن نماذج اقتباس الجملة، قوله:

وثاروا فجن جنون الرياح وزلــزلت الأرض زلـــــزالها [٣٠]

فقد استلهم الشطر الثاني من قوله تعالي في سورة الزلزلة: ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا** ﴾ [سورة الزلزلة: آية ١] .

وكذلك قوله:

قل إذا خاطبت غير المســلمين لكـــــم دين رضيتم ولي دين [٣١]

---

[٢٩] الشوقيات، ج١، ص١٧١.

وَاتركْ رَعَمْسِيسَ إنَّ المُـلكَ مَظهَرُهُ في نهضَةِ العَدْلِ لا في نَهضَةِ الهَـــرَمِ
دارُ الشَّرائِـــعِ رُوما كُلَّما ذُكِرَتْ دارُ السَّلامِ لَها أَلقَتْ يَـدَ السلَـمِ
ما ضارَعَتْها بَياناً عِنـــدَ مُلتَئِـمٍ وَلا حَكَتْها قضـــاءً عِندَ مختَصَـمِ

[٣٠] الشوقيات، ج١، ص١٨٤.

[٣١] المصدر السابق، ج٤، ص٤٠.

فقد استلهمها من قوله تعالى من سورة الكافرون: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ [سورة الكافرون: آية ٦] .

أما في المواعظ والحكم؛ فتكاد تكون تلك الأبيات ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى الشعر، كما في قوله:

أراد الله بالفقـــــراء بـــــرًا ... بالأيتـــام حـــــبًا وارتبـابا

وأرسل عائلاً منكم يتـــــيمًا ... دنا مـــن ذي الجلال فكان قابا[٣٢]

واقتبس معنى هذه الأبيات من قوله تعالى في سورة الضحى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [سورة الضحى: آية ٩].

– وغزيرة هي شواهد اقتباساته من القرآن الكريم بألفاظه، أو بمعانيه. كما تكثر في ديوانه التشبيهات بالقصص القرآني. مثل قوله:

هزوا القرى من كهفها ورقيمها ... أنتم لعمر الله أعصـــاب القرى[٣٣]

فالشاعر شبه طلاب العلم بأهل الكهف، الذين يسكنون الرقيم وهي قرية، وأصحاب الكهف يضرب بهم المثل لمن طالت غفوتهم، وقد استلهم شوقي هذا المعنى من سورة الكهف في قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [سورة الكهف، الآيات ٩: ١٢].

ومن ذلك أن شبه قدوم المغتربين إلى أرض الوطن، بتأثير قميص يوسف في أبيه، قال:

وإذا أتاه مبشر بقدومهم ... فمن القميص ومن شذى أردانه[٣٤]

واستلهم المعنى واللفظ من سورة يوسف، من قوله تعالى:

﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة يوسف، الآية ٩٣].

كما تناول حادثة طوفان بني الله نوح (عليه السلام)، عندما أمره الله تعالى أن يصنع السفينة، ويأخذ فيها من كل زوجين من الحيوانات، فالشاعر استمد تفاصيل هذه القصة من القرآن الكريم، فرسم هذه الصورة الشعرية، في قوله:

لما أتم نـــوح الســـفينة ... وحركـــــتها القدرة المعينة

جرى بها ما لاجـــرى ببال ... فما تعالى المـــــوج كالجبال

---

[٣٢] السابق، ج٥، ص٧١.

[٣٣] السابق، ج١، ص ١٥٢–١٥٣.

[٣٤] الشوقيات، ج١، ص٢٩٥.

....

حتى إذا حطوا بسفح الجودى وأيقنوا بعـــــــودة الوجود

الشعائر الدينية والعبادات :

ولم تقتصر الأبعاد الإسلامية في شعر شوقي على القرآن الكريم والقصص القرآنية والمناسبات الدينية، فقد كانت للشعائر الدينية والعبادات بعدًا أخر يقف بجانب آيات القرآن الكريم وتسهم بدور فعال في تكوين صوره الشعرية. ونلاحظ أن تأثير العبادات على شعر شوقي يأتي بصيغة البيت المفرد في أغلب الأحيان. فله أبيات عن الصوم، والصلاة، والحج، والنذر، حيث يقول:

وصلِ صلاة من يرجو ويخـــشى وقبل الصوم صم عن كل فحشا[٣٥]

ويقول أيضًا:

وسرت وملء الأرض حولك أدرعٌ ودرعك ثلـــبٌ خاشعٌ وصلاة[٣٦]

ويقول:

خفافًا إلى الداعي، سراعًـــا كأنما من الحــرب داعٍ للصلاة مثوب[٣٧]

ويقول:

لك الدين يارب الحجيج جمعـتهم لبيـــت طهور الساح والعرصاتِ[٣٨]

ويستكمل شوقي صوره الدينية للعبادات الإسلامية، من خلال مايؤديه المسلمون من صلاة وقراءة القرآن، وقيام الليل، فيقول في رثاء إسماعيل أباظة باشا:

وكنت تصلي بالملـــــوك جماعةً وكنت تقوم الليل بالنفس خاليًا[٣٩]

ومن الصور الإسلامية التي أشار إليها شوقي هي (نحر الهدى في موسم الحج) حيث يقول:

يأتون طيبة بالهدى أمـــــامهم يغــشى المدائن والقرى ويطبق[٤٠]

ويقول في مدح الخديوي في رحلته للحج:

---

[٣٥] المصدر السابق، ج٣، ص ٥٠.

[٣٦] السابق، ج١، ص٩٤

[٣٧] الشوقيات، ج١، ص ٤٨.

[٣٨] المصدر السابق، ج١، ص٩٩.

[٣٩] السابق، ج٣، ص ١٨٢.

[٤٠] السابق، ج١، ص ٧١.

يحييك (طه) في مضاجع طهره ... ويعلم ما عالجت من عقبات

ويثنى عليك (الراشدون) بصالح ... ورب ثناء من لسان رفات[٤١]

– **وشخصيات الأنبياء** – عليهم السلام – هي أكثر شخصيات التراث الديني شيوعًا في شعر الشعراء، منذ القدم. وقد كانت أكثر شخصيات الرسل شيوعًا شخصية محمد رسول الله □، إذ هي الأكثر شيوعًا عند الشعراء، وعند شوقي أيضًا، وتليها بقية شخصيات الأنبياء.

– ففي الأبيات التالية يذكر بني الله نوح عليه السلام، عندما أمره الله تعالى بأن يصنع السفينة، ويأخذ فيها من كل زوجين اثنين من أصناف الحيوانات، وهو بهذا يلتمس العظة والعبرة، ويطبقها على الواقع الذي يعيشه، وقد استمدها من قوله تعالى من سورة هود: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾ [٤٢].

يقول شوقي :

لما أتم نـــــوح الســـفينة ... وحركتـــــها القدرة المعينة

جرى بها ما لا جـــرى ببال ... فما تعـالى المـــــوج كالجبال

حتى إذا حطوا بسفح الجودي ... وأيقنوا بعـــودة الوجـــــود

فقس على ذلك أحوال البشر ... أن شمل المحذور أو عم الخطـر[٤٣]

– وقد تعددت اقتباساته للمعاني والألفاظ من قصة النبي يوسف عليه السلام، فيقول شوقي مستوحيًا من هذه القصة:

أصل الحضارة في صعيدك ثابتٌ ... ونبائها حسنٌ عـليك مخلق

وجمال يوسف لا يـــزال لواؤه ... حوليك في أفق الجلال يرنق

ودموع أخوته، رسائـــل توبة ... مسطورهن بشاطئيك منمق[٤٤]

---

[٤١] السابق، ج١، ص٩٩.

[٤٢] سورة هود، الآية ٤٠.

[٤٣] الشوقيات، الجزء الرابع، ص ١٥٩.

[٤٤] المصدر السابق، الجزء الثاني، ص ٧٢.

فقد استوحي أبياته السابقة من قوله تعالى من سورة يوسف: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[٤٥] .

وعن قصة يوسف عليه السلام مع أخوته، فقد استوحاها من قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ۝ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٤٦] .

وكذلك استوحى من سورة يوسف أبياتاً في رثاء الدكتور (أحمد فؤاد) المتوفي سنة ١٩٣١ م، فقد شبه الفقيد بيوسف (عليه السلام)، وشبه أبيه بيعقوب (عليه السلام) في صبره على فراق ولده ومحنته. فيقول:

رحماك (يوسف) قف ركابك ساعة واعطف علي يعقوب فيه حزينا[٤٧]

مستلهماً من قوله تعالى من سورة يوسف:﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٤٨] .

وكذلك شبه قدوم المغتربين إلى أرض الوطن، بتاثير قميص يوسف في أبيه، فقال

وإذا أتــاه ميشــر بقدومهـــــم فمــن القميص ومن شذى أردانه[٤٩]

استلهمها من قوله تعالى من سورة يوسف :

﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٥٠] .

– وكذلك استلهم شوقي قصة أخوة يوسف مع أبيهم، وخوف الأب وإشفاقه على يوسف، قال شوقي:

يعقوب من ذئب بكى مــشفقًا فكيـــــف أنياب الحديد الحداد[٥١]

ففي البيت السابق صور شوقي خوفه على أبنائه الصغار، وهم ذاهبون إلى المدرسة بالقطار، وهو مصدر خطر عليهم، ويخاف عليهم من حوادث الطريق. فشبه شوقي القطار بالذئب، الذي ادعى أخوة يوسف لأبيهم أنه أكل

---

[٤٥] سورة يوسف: الآية ٣١.

[٤٦] سورة يوسف: الآية ٩٠-٩٢.

[٤٧] الشوقيات، الجزء الثالث، ص ١٦٧.

[٤٨] سورة يوسف، الآية ٨٦.

[٤٩] الشوقيات، الجزء الأول، ص ٢٩٥.

[٥٠] سورة يوسف، الآية ٩٣.

[٥١] الشوقيات، الجزء الأول، ص١١٦.

يوسف. وقد استلهم هذه الصورة من قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ۝ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾[٥٢].

وفي إحدى قصائده، يشبه شوقي نجاة الخليفة حين ألقيت عليه قذيفة سنة ١٩٠٥ م وشاء الله تعالى أن يحفظه من شرها، بنبي الله إبراهيم (عليه السلام)، عندما ألقي في النار، فكانت بردًا وسلاماً. يقول شوقي:

تشميت في برد الخليل، فخضتها سلامًا وبردًا حول الغمرات[٥٣]

واستلهمها من قوله تعالى، من سورة الأنبياء: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾[٥٤].

– ويذكر شوقي نبي الله سليمان، في قصيدة له يشيد بالطيران المصري، بمناسبة قدوم طائرتين من باريس إلى مصر، فقد أسند فعل الأمر إلى النبي سليمان (عليه السلام)، في هذا الموضع فيقول[٥٥] :

قم (سليمان) بساط الريح قاما ملك القوم من الجو الزماما

....

ووجه الشبه هنا هو تسخير الرياح لنبي الله سليمان(عليه السلام) وكذلك الطيارين في رحلتهما. واستمدها من قوله تعالى من سورة البقرة : ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[٥٦].

– ويقول عن النبي موسى – عليه السلام – الذي أرسله الله – تعالى – هاديًا الحياري ومرشدًا الضالين، ومُكرمًا العقول، ومرتفعًا به عن الوثنية والكفر[٥٧] :

---

[٥٢] سورة يوسف، الآيات ١١-١٣.

[٥٣] الشوقيات، الجزء الأول، ص ٦٤.

[٥٤] سورة سبأ : الآية ١٢.

[٥٥] الشوقيات، الجزء الثاني، ص ٨٨ .

حين ضاق البر والبحر بهم أسرجوا الريح، وساموها اللجاما
صار ما كان لهم معجزةً آية للعلم آتاها الأناما

[٥٦] سورة سبأ: الآية ١٢ .

[٥٧] الشوقيات، ج١، ص ١٥.

حَجَّنا في الزَمانِ سِحراً بِسِحرٍ وَاِطمَأَنَّت إِلى العَصا السُعَداءُ
وَيُريدُ الإِلَهُ أَن يُكرَمَ العَقـ ـلُ وَأَلّا تُحَقَّرَ الآراءُ
ظَنَّ فِرعَونُ أَنَّ موسى لَهُ وا فٍ وَعِندَ الكِرامِ يُرجى الوَفاءُ

وَاتَّخَذنا الأَسماءَ شَتّى فَلَـــمّا جاءَ موسى اِنتَهَت لَكَ الأَسماءُ

– ويفاخر شوقي في شعره الإسلامي بالخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فيتابع شوقي الصلاة على الخلفاء الراشدين (أبي بكر الصدّيق، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، على بن أبي طالب) طالبًا لهم الرحمة، فهم أصحاب رسول الله، لبّوا دعوته ونداءه في السلم والحرب، وعاضدوه في نشر الدعوة، ونفذوا الشريعة بقوة، وظلوا صابرين على الكفار، كاظمين الغيظ، مجاهدين في سبيل الدعوة.

وأَهد خيرَ صلاةٍ منك أَربـــعةً في الصحب، صحبتهم مرعية الحرم
الراكبين إذا نادى النبيُّ بـهـــم ما هال من جلل واشتد من عمـمِ
الصابرين ونفسُ الأَرض واجفـــةٌ الضاحكين إلى الأخطار والقحـمِ

ومن قصيدة له يخاطب طلاب العلم في الأزهر ويحثهم على نشر العلم، مستلهمًا من سورة الكهف، يقول:

يافتية المعمور ساد حديثـــكم ندا بأفواه الركـــــــاب وعنبرا
....
هزوا القرى من كهفها ورقيـمها أنتم لعمر الله أعصـــــــاب القرى[٥٨]

إذ يطلب شوقي من طلبة العلم أن يجتهدوا في نشر العلم بين الأميين من الناس، الذين شبههم بأهل الكهف الذين يسكنون الرقيم، وأهل الكهف يُضرب بهم المثل، لمن طالت غفوتهم. واستلهم شوقي هذا المعنى من سورة الكهف في قوله تعالى : ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ آياتِنَا عَجَبًا۞ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّىءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا۞ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا۞ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُواْ أَمَدًا**﴾ [سورة الكهف، الآيات ٩-١٢].

ويفاخر شوقي في شعره الإسلامي **بالخلفاء الراشدين** رضي الله عنهم ، يقول[٥٩]:

---

[٥٨] السابق، ج١، ص ١٥٢-١٥٣.

[٥٩] نهج البردة لأمير الشعراء أحمد شوقي، وضح النهج – شيخ الأزهر سليم البشري، قدم له أمير الفصحاء أحمد بك المويلحي، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٩٠م، ص ٧٨-٨١.

الزاخر العذب في علمٍ وفي أدبٍ والناصر النَّدب في حربٍ وفي سلمِ
أو كابن عفان والقرآنُ في يـدهِ يحنو عليه كما تحـنو على الفُـطُمِ
ويجمع الآي ترتيبًا وينظُـــمـها عقدًا بجيد الليالي غيـــر منفصمِ
جرحان في كبد الإسلام ما التأما جرحُ الشهيد وجرحُ بالكتاب دمـي

من في البرية كالفاروق مـــــعدلةً وكابن عبدالعزيز الخـــاشع

الحشمِ؟

وكالإمام إذا ما فض مـــــزدحماً بمدمع في مآقـــــي القوم مزدحمِ

....

فيتباهي في الأبيات السابقة بمقدرة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إقامة دولة عادلة، ويتباهى كذلك بخلق التواضع والخشوع في حكم عمر بن عبد العزيز، ويمدح خلق المحبة والتضحية في خلافة على بن أبي طالب رضي الله عنه ..... حين ضحى بنفسه ليلة هجرة الرسول عليه السلام، وعددّ شوقي مناقب الإمام علي كرم الله وجهه فقد كان غنيًّا سخيًّا بعلمه، خفيفًا في الحرب، مبتسمًا متواضعًا مع الناس، واصلاً رحمه برسول الله. كما ذكر شوقي مكانة ونور الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، في حفظ القرآن ونسخه؛ فقد كان حريصاً عليه كحرص الأم الحنون على طفلها. ثم تطرق شوقي في بردته إلى مواقف الظلم، والقتل، والتعذيب؛ التي تعرضت لها الفئة المؤمنة على أيدي الكُفار، فأشار إلى استشهاد الخليفة عثمان بن عفان وهو حاملاً المصحف، ثم ذكر دور أبي بكر الصدّيق وعزمه وحزمه في حروب الردة والفتوحات الإسلامية، ونشر الإسلام، والحفاظ عليه، في أوقات الشدة، وخمد نار الفتنة التي حاول أعداء الإسلام إيقادها .

ومن أبعاد شعره الإسلامي، أن كتب شوقي مقارنًا بين قياصرة الروم، الذين تملكهم حب المال، والسلطة، والشهوة، وبين خلفاء الدولة العباسية (الرشيد – والمأمون – والمعتصم) الذين كانوا يدافعون ويحاربون عن حدود الله، ويهدفون إلى نشر المعرفة والعدل، ويحتفون بالعلماء لنشر العلم، ويتواضعون أمام هيبة للعلم. كما وصف شوقي كرم الحكام المسلمين وشبهه بالمطر، الذي يجلب الخير إلى الأرض الجدباء، فيحييها، ويحي أهلها. ويؤكد أن حكام المسلمين العظماء لا يقارن بهم الملوك الأعاجم الأشحاء. يقول شوقي:

ولا احتوت في طرازٍ من قياصرها على رشيدٍ ومـــــأمونٍ ومعتصمِ

من الذين إذا سارت كـــتائبهم تصرفوا بحـــدود الأرض والتخـــمِ[٦٠]

وما بلاء أبي بكر بمتهمٍ بعـــد الجلائل في الأفـــــعال والخدمِ

بالحزم والعزم حاط الدين في محنٍ أضلت الحلم من كهلٍ ومحتلـــمِ

[٦٠] ويجلسون إلى علـــمٍ ومعرفـــةٍ فلا يدانون في عقـــلٍ ولا فـــهمِ

يُطأطئ العلمـاء الهام إن نبسوا من هيبة العلم لا من هـــيبة الحكمِ

ويمطرون فمـا بالأرض من محلٍ ولا بمن بات فوق الأرض من عدمِ

خلائف الله جلُوا عـن موازنةٍ فلا تقيسن أمـــلاك الورى بهـــم

وعلى ذلك، فيمكننا القول أن شخصية أحمد شوقي الدينة التي عرفناها من خلال شعره، هي نفسها شخصيته التي نعرفها من حياته، وأن شعره الإسلامي الذي نقرؤه في الشوقيات لا نستغرب من الشاعر الذي نظمه، لأن معالم شخصيته الدينية انعكست بوضوح في شعره، فجاء شعره صورة منها، ومن واقعه ومن أحداث الحياة حوله، فشوقي يظهر في شعر الديني: " معلمًا قبل أن يكون شاعرًا، يريد لشعره الانتشار على ألسنة الشباب والرجال والنساء، وأن يدخل كل بيت في العالم العربي"[٦١]، وقد كان شعر شوقي تقيًا نقيًا ورعًا، كما كان شوقي مسلمًا نقيًا ورعًا.

النتائج:

وهكذا؛ فإن الأبعاد الإسلامية في شعر أحمد شوقي، لا تقتصر على مدائحه النبوية، ولكن تتعداها إلى عرض السيرة النبوية بأحداثها، وعرض جهاد الرسول وجهاد المسلمين من بعده من أجل العقيدة.

– فقد احتفى شوقي في شعره بالأحداث الإسلامية، كالهجرة النبوية، ومعركة بدر الكبرى، وحادثة الإسراء والمعراج.

– وقد رد شوقي في شعره، على هجوم بعض المستشرقين على الإسلام، وأقام شاعرنا عليهم الحجة والبرهان.

[٦١] الإيقاع الصرفي في شعر الغنائي، تأليف منير سلطان، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص٤٥.

– وذكر شوقي في شعره عديدًا من شخصيات الأنبياء عليهم السلام. وكانت أكثر شخصيات التراث الديني شيوعًا لديه هي شخصية النبي محمد ، وتليها بقية شخصيات الأنبياء، كما احتفى بذكر الخلفاء الراشدسن رضي الله عنهم وجهادهم في سبيل الدعوة الإسلامية .

– وقد كان القرآن الكريم من أهم مصادر الشاعر، بحيث أصبحت الآيات القرآنية المصدر الأول الذي نهل منه، بحيث اقتبس منه الألفاظ والمعاني على السواء. فقد اقتبس الكلمة أو الجملة أو المعنى القرآني. كما نهل شوقي من الحديث النبوي الشريف.

المصادر والمراجع :

١) القرآن الكريم .

٢) السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام، تحقيق السقا والإبياري وشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر عام ١٩٣٦م.

٣) ديوان أحمد شوقي "الشوقيات"، تحقيق أمين محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ١٩٧٠م.

٤) الاتجاه الإسلامي في الشعر المصري، د. نبيل سليمان طبوشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٥) أحمد شوقي ، د/ماهر حسن فهمي، دار الكاتب العربي، ١٩٦٩م.

٦) أحمد شوقي، أمير الشعراء ، إيليا الحاوي، ط١، بيروت ١٩٧٧م.

٧) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، د. على عشري زايد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م.

٨) استلهام الشخصيات الإسلامية، د. محمد بن عبد الله مندور، ط١، مطابع الحميض، الرياض، ٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٩) اسلاميات أحمد شوقي ، دراسة نقدية ، د. سعاد عبد الوهاب، مطابع أهرام الجيزة الكبرى.

١٠) الإيقاع الصرفي في شعر الغنائي، تأليف منير سلطان، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.

١١) دول العرب وعظماء الإسلام، أحمد شوقي، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٣م.

١٢) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، عباس محمود العقاد، ط١، النهضة المصرية، ١٩٥٠م.

١٣) شوقي الشاعر الإنسان، أحمد عبد المجيد، دار المعارف، ١٩٨٢م.

١٤) شوقي وقضايا العصر والحضارة، حلمي على مرزوق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨١م.

١٥) الشوقيات المجهولة، محمد صبري، بيروت ، دار المسيرة، ١٩٧٩م.

١٦) فصول في الشعر ونقده، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٨م.

١٧) لغة الشعر، رجاء عيد، منشأة المعارف، الإسكندرية ، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

١٨) نهج البردة لأمير الشعراء أحمد شوقي، وضح النهج – شيخ الأزهر سليم البشري، قدم له أمير الفصحاء أحمد بك المويلحي، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٩٠م.